

تأثير غزو أوكرانيا على موقف روسيا في سوريا: المقاتلون الأجانب وقضايا النفوذ

عمر بهرام أوزدمير



نقل العناصر السورية بشكل مكثف إلى ساحة القتال في أوكرانيا لن يمثل تطوراً إيجابياً بالنسبة لصورة القوة العسكرية الروسية. كما أن استخدام الميليشيات التي تجندها روسيا للقتال في سوريا من أجل صراع طويل الأمد في الخارج، قد يضع موسكو في موقف ضعيف أمام إيران في سوريا.



بعد بضعة أيام فقط من شن القوات الروسية غزوها لأوكرانيا، دعا الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي "المتطوعين" الأجانب الذين يرغبون في الدفاع عن أوكرانيا ضد الاعتداء الروسي للمجيء والمشاركة في القتال. هذه الدعوة التي ترافقت مع

استخدام روسيا لجهات مسلحة فاعلة مختلفة -من خارج إطار الدولة- على الساحة الأوكرانية أثارت قضية المقاتلين الأجانب في خضم تطورات الاحتلال الروسي لأوكرانيا.

الخطوات الروسية والأوكرانية بشأن الميليشيات الأجنبية

في الأيام الأولى للغزو الروسي أعلنت أوكرانيا على لسان الرئيس زيلينسكي عن إنشاء فيلق المتطوعين الدولي، وجعل ارتباط ذلك الفيلق بـ"قوات الدفاع الإقليمية" وهي إحدى عناصر القوات المسلحة الأوكرانية في الميدان، وسيتشكل هذا الفيلق من متطوعين أجانب، وستقاتل هذه الميليشيات الأجنبية ضد الاحتلال الروسي بالتنسيق مع القوات الأوكرانية. وبحسب تصريحات زيلينسكي، تقدم إلى حكومة كييف في المرحلة الأولى نحو 16 ألف "متطوع" من مختلف أنحاء العالم، لاسيما من أوروبا من

أجل القتال إلى جانب القوات الأوكرانية ضد قوات الاحتلال الروسية. وفي الأيام التالية، أعلنت السلطات الأوكرانية أن هذا العدد وصل إلى 20 ألفاً. هؤلاء المتطوعين يتألفون من العديد من الجنسيات المختلفة، لاسيما الشيشانيين (الناوئين لحكومة قاديروف) والجورجيين الذين لديهم تاريخ حرب مع روسيا. وعلى الرغم من أن المتطوعين يوصفون بأنهم مبادرة مدنية اتخذتها كييف ضد الاحتلال الروسي، إلا أن هناك ادعاءات من مصادر مختلفة بأن العديد من الجنود السابقين وصلوا إلى المنطقة تحت مظلة "متطوع". هذه الخطوة التي قامت بها أوكرانيا، أثارت جدلاً كبيراً ومن المتوقع أن تخضع لمراجعات وإجراءات حول "المقاتلين الأجانب والقانون الدولي" خلال السنوات المقبلة. وبعد خطوة أوكرانيا جاءت خطوة مماثلة من

البشرية لقوات الميليشيات المدعومة من موسكو والناشطة على جبهات مختلفة في سوريا، وأنجزت هذه الشبكات أيضاً مهمة تجنيد مسلحين لقوات الميليشيات المدعومة من روسيا المنتشرة إلى جانب قوات خليفة حفتر في ليبيا، وإلى جانب القوات الأرمنية المحتلة في إقليم قره باغ. وبرز في تلك المرحلة الفيلق الخامس وبعض مجموعات قوات الدفاع الوطني التي تعتبر في

من أجل القتال نيابة عن روسيا على الأراضي الأوكرانية. وبالنظر إلى وجود روسيا في المنطقة لسنوات عديدة وإرسال الميليشيات السورية إلى مناطق نزاع مختلفة من خلال الشركات الأمنية الروسية في المنطقة، يمكن القول إن عمليات تجنيد الميليشيات المذكورة أصبحت ممارسة روسية متواصلة، وليست خطوة خاصة بالساحة الأوكرانية.

أنشأت روسيا عدداً من الشبكات لتوفير الموارد

موسكو. حيث صرح وزير الدفاع الروسي الجنرال سيرجي شويغو، أن 16 ألف متطوع من الشرق الأوسط على استعداد للقدوم إلى المنطقة لمساعدة سكان إقليم الدونباس. كما أن هناك العديد من المصادر المحلية المختلفة التي تزعم أن روسيا أطلقت مرحلة "الانضمام الطوعي" للقتال في أوكرانيا قبل بدء الغزو، وأن هنالك اليوم عشرات الآلاف من الميليشيات السورية التي وقّعت عقوداً



ساحة القتال في أوكرانيا لن يمثل تطورا إيجابياً بالنسبة لصورة القوة العسكرية الروسية. كما أن استخدام الميليشيات التي تجندها روسيا للقتال في سوريا من أجل صراع طويل الأمد في الخارج، قد يضع موسكو في موقف ضعيف أمام إيران في سوريا. وما حدث في درعا خلال الأشهر التسعة الماضية، أثبت أن العناصر المدعومة من إيران هي الفاعل المهيمن في الخط الجنوبي للبلاد، على الرغم من تحركات روسيا الرامية لتحقيق التوازن. كما أن إبعاد قوات الميليشيات المؤيدة لروسيا عن الأراضي السورية قد يؤدي إلى ازدياد نفوذ طهران في سوريا، وفي الوقت نفسه قد يدفع إسرائيل أيضا لاتخاذ هذا النفوذ الإيراني ذريعة لمضاعفة هجماتها التي تستهدف النظام السوري والمواقع الإيرانية في سوريا. وسيؤدي هذا الاحتمال إلى فراغ في السلطة يجبر موسكو التي تخوض حربا في البحر الأسود أن تبذل جهوداً لمنع صراع إسرائيلي إيراني من الاشتعال في جنوب سوريا، كما سيفتح هذا الفراغ الطريق إلى زيادة تدخل الفاعلين الأجانب في سوريا، لاسيما الولايات

الشباب السوريين الذين لا يرغبون بمغادرة البلاد، أو انهم لا يتمكنون من المغادرة، للانضمام إلى الميليشيات والسعي لتحقيق مكاسب اقتصادية. يبدو أن جيش النظام قد أعاد أوضاع قوات الجيش واستعدادها للحرب إلى الحالة التي كانت عليها قبل اندلاع الصراع المسلح في سوريا، وقامت قيادة جيش النظام إما بتسريح أو إعطاء إجازة لعدد كبير من الجنود. لكن خلال هذه المرحلة، ازداد عدد الميليشيات الفاعلة على الأراضي السورية بشكل كبير، وازداد عدد العناصر التي تنتمي لهذه الميليشيات. وأثبت دخول عدد كبير من زعماء تلك الميليشيات إلى مجلس الشعب خلال الانتخابات البرلمانية الأخيرة التي أجراها نظام الأسد، أن النظام يتجه إلى منح الميليشيات أولوية واهتمام أكبر في سياساته الأمنية.

وبالعودة لمسألة مشاركة السوريين المحسوبين على النظام في القتال في أوكرانيا إلى جانب الروس، يمكن القول إنه لن تكون هناك مشكلة من حيث توفير الموارد البشرية، ولكن نقل العناصر السورية بشكل مكثف إلى

طليعة هذه العمليات، والتي يمكن أن تكون لديها القدرة على لعب دور قيادي في حرب روسيا على أوكرانيا أيضاً. حيث يمكن للفصائل "المسيحية" من قوات الدفاع الوطني في محردة والسقيلية التي تنشط في محافظة حماة السورية بشكل خاص أن تكون بمثابة إمدادات مفيدة لتجنيد مسلحين سوريين للقتال إلى جانب الروس في أوكرانيا. كما أن الفيلق الخامس الذي شكلته روسيا من أجل تحقيق التوازن مع عناصر النظام المدعومين من إيران في وسط وجنوب سوريا، وقوات النمر المدعومة من روسيا لديها الخبرة والارتباطات الكافية لتجنيد مسلحين على خط درعا - حماة - حمص - دير الزور للقتال على الجبهة الأوكرانية إن لزم الأمر. وستقوم الشركات الأمنية الروسية مثل "فاغنر" وغيرها بعمليات التنسيق كما كانت تفعل في المراحل السابقة. وبالطبع جميع تفاصيل هذا السيناريو لا تزال في وضع الاحتمال. وبالإضافة إلى ذلك، فإن التجارب المكتسبة في ليبيا وقره باغ تجعل أيضا الاحتمالية قوية في أوكرانيا. ومثل هكذا خطوة يمكن أن تقود إلى تطورات جديدة في الأوضاع على جبهة النظام وجبهة المعارضة في سوريا.

الخطوة الروسية حول المقاتلين الأجانب المتمركزين في سوريا والاحتمالات

إن الدمار الاقتصادي الذي تشهده سوريا والذي يتزايد يوما بعد يوم، وانتشار البطالة، يدفع العديد من



من سوريا إلى أوكرانيا من أجل القتال ضد روسيا. يشار إلى أن العديد من المقاتلين الأجانب الموجودين في سوريا حالياً لا يفضلون العودة إلى بلدانهم الأصلية بسبب معوقات قانونية، ولا يمكنهم مغادرة سوريا. لذلك فإن قيام هؤلاء بالقتال ضد الاحتلال الروسي لأوكرانيا الذي يواجه معارضة من الرأي العام الدولي، قد يعني لهؤلاء المقاتلين العودة إلى اكتساب "وجود شرعي" مرة أخرى، وفي حال نجاتهم وخروجهم أحياء من القتال في أوكرانيا يمكنهم العودة لبلدانهم.

كل هذه الاحتمالات لا تقدم إجابة واضحة على الأسئلة المطروحة حول ما إذا كانت روسيا ستستخدم الميليشيات السورية أو كما تسميهم المتطوعين، على خط المواجهة في أوكرانيا بشكل واسع أم لا. لكن إذا اختارت روسيا هذا المسار، فيمكن القول إن موسكو ستفتح الباب أمام احتمال زيادة نفوذ تركيا وإيران وإسرائيل في جنوب سوريا وشمالها، بينما سيتضاءل نفوذ موسكو في تلك المناطق. ويجب القول إن إطالة أمد الحرب في أوكرانيا وتكاليفها العسكرية والاقتصادية المتزايدة على روسيا ستؤثر بأي حال على سوريا على المدى المتوسط. كما أن إدخال المقاتلين الأجانب في هذه المعادلة سيسمح للجهات الأجنبية بالتدخل بشكل أكبر في سوريا، وسيؤدي أيضاً إلى زيادة التوجه إلى إفساح المجال للميليشيات لأخذ دور في البلاد بسبب الظروف الاقتصادية هناك. ■



ستثير استفزاز المعارضة السورية والقوات المسلحة التركية. هذا السيناريو قد يضع موسكو وجها لوجه مع جبهة ستتكدب فيها خسائر فادحة إذا طال أمدوها. جدير بالذكر أن العناصر المدعومة من إيران والناشطة في إدلب ومحيطها تعمل في ظل الظروف العادية دون أي مشاكل بفضل الدور الفاعل المهيمن لروسيا في تلك المنطقة. لكن قد تحاول هذه العناصر القيام بمثل هذا الاستفزاز لعرقلة روسيا في سياق التنافس بين طهران وموسكو، في الوقت الذي تركز فيه روسيا على قوات الميليشيات والحرب على أوكرانيا. من ناحية أخرى، فإن مستوى رد فعل الرأي العام الدولي الذي سينجم عن التدفق المحتمل للميليشيات السورية المدعومة من روسيا قد يدفع أيضاً المقاتلين الأجانب في قوى المعارضة في المنطقة إلى البحث عن طرق التوجه

المتحدة. أما في شمال سوريا، فيمكن القول إن عملية جادة في إدلب غير مطروحة على الطاولة على المدى القصير كنتيجة لحرب أوكرانيا. بالإضافة إلى ذلك، فإن روسيا التي تنخرط قواتها المسلحة حالياً في الحرب على أوكرانيا، أصبح تعزيز قواتها في سوريا مكلفاً للغاية، بسبب القيود التركية على مرور السفن الحربية الروسية عبر مضائق البسفور والدردينيل تطبيقاً لمبادئ اتفاقية مونترو، لذلك قد تشهد الساحة السورية فترة مضطربة تفتعلها العناصر المدعومة إيرانياً والتي ستحاول الاستفادة من الظروف السلبية التي تواجهها روسيا حالياً.

هناك سيناريو آخر قد يحدث وهو أن تقوم الميليشيات الطائفية المدعومة من إيران والمتمركزة في ريف حلب وإدلب، باستئناف هجماتها التي

عمر بهرام أوزدمير: أكاديمي وباحث تركي، خبير دراسات بلاد الشام في مركز أورسام.